

## المقدمة

يطيب لي أن أقدم بين يدي القارئ الكريم سواء كان من متخصصي دراسة الآثار الإسلامية أو من المحبين لها مجموعة من الدراسات والأبحاث المتنوعة في مجال من أهم مجالات هذا الحقل العلمي ، وهو مجال الكتابات الأثرية ، الذي لم يكد يبعد بنا عن دراسة الفروع الأساسية للآثار الإسلامية إلا وهو يلاصقها أو يعانقها والكتابة الأثرية للعمارة تزيدها على زينتها توثيقاً وتأصيلاً وهي للفنون الإسلامية تثبتها تحديداً وتقييماً وهي كذلك بالنسبة للتصوير الإسلامي في المخطوطات تعطيه تشويقاً وتفعيلاً ومن ثم فإن دراسة الكتابات الأثرية الإسلامية توضح بجلاء الأهداف العامة من ورائها كالأغراض الجمالية والأغراض التسجيلية التذكارية .

ويمكن لنا أن نقرر أن شواهد وتراكيب القبور الإسلامية قد جمعت في كتاباتها بين الغرضين جميعهما ، الجمالي والتسجيلي ، وذلك لأن المتتبع لدراسة أشكال الخطوط التي كتبت بها يرى مدى تنوعها وتطورها على مدار العصور التاريخية الإسلامية ليلحظ بشيء من اليقين أن مثلها النوع من الكتابات قد حفظ لنا بصدق ما نستطيع أن نتطلع إليه من معاشة ومواكبة أنواع هذه الخطوط التي نقشت في عصورها ونعابنها عين اليقين وذلك لدرجة حفظها الجيد .

ومن ناحية أخرى فإن الغرض التسجيلي أو التذكاري الذي تطرحه علينا مضامين هذا النوع من الكتابات لا يخفى مالها من أهمية كبيرة في إجلاء الحقائق

وبيانها عن حالة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والفنية وربما السياسية أيضاً في عهود كتاباتها ، فقد تحمل لنا تلك المضامين أسماء أعلام لأصحاب التراكيب والشواهد كما سنرى من خلال بحوث هذا الكتاب وكذلك أوضاعهم ومواقعهم في المجتمع ومن ثم بيان حالة المجتمع كله في ذلك الحين .

ويمكن القول بأن كتابات شواهد القبور الإسلامية بصفة عامة بعد نشرها ودراستها دراسة مستفيضة قد تمكن من نسبة المنشأة ، دينية كانت أم مدنية أم جنائزية إلى شخص بعينه أو مجموعة أشخاص ، كذلك لأنه في بعض الأحيان نجد أن المنشأة - وذلك فيما بعد العصر الأيوبي على الأرجح قد يكون هو مركزها وحوله المدرسة أو السبيل والكتّاب أو الجامع وربما يكون شاهد القبر أو تركيبه بما عليها من كتابات وثائق هامه في نسبة المنشأة لصاحب الضريح أو عدم نسبتها إليه أو حتى بيان امتحان الضريح عليها في حالة التثبيت من نسبة المنشآت أو المنشأة الملحق بها الضريح بما فيه من تركيبه وشاهد إلى شخص آخر .

كما أن كتابات الشواهد والتراكيب قد توضح لنا التأثيرات المتبادلة بين الشعوب الإسلامية في نطاق الخلافة أو السلطنة أو الدولة الإسلامية كالتأثيرات العربية في الفارسية والتركية العثمانية على المنطقة العربية وغير ذلك يستنبط من كتابة نقوشها بلغة معينة وحروف عربية أو بنسبة أشخاصها نسبة صحيحة إلى قطر بعينه وانتقاله للعيش في قطر لآخر ومن ثم تحديد مثواه فيه ونرى ذلك جلياً في بحث يتصل بمجموعة من الأتراك العثمانيين سكنوا مدينة رشيد في العصر العثماني ولما ماتوا آثروا أن يدفنوا بها على العودة إلى موطنهم الأصلي .

ويُنشر في هذا الكتاب خمسة بحوث تتصل جميعها بكتابات شواهد القبور الأولى عن بعض تراكيب وشواهد القبور في القاهرة العثمانية [ عددها عشر قطع ] نشرت عام ١٩٩٢ م في رسالة المؤلف لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية ، وتتميز بتحديد مادتها من الرخام ومنهج بحثها القائم على الوصف والتحليل لشكل الكتابات ومضمونها .

**والثاني** بحث نشر عام ٢٠٠٠ م بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية بعنوان "دراسة أثرية لتراكيب وشواهد القبور برشيد في العصر العثماني وعصر أسرة محمد علي" ق ١٠-١٣ هـ / ١٦-١٩ م "وتتضمن دراسة توضيحية وتحليلية لعدد ٣٧ قطعة أثرية من حيث المادة والصناعة وأشكال الشواهد وقممها وما عليها من زخارف ، وأيضاً من حيث أنواع الخطوط المستخدمة عليها . ثم دراسة لمضمون الكتابات على هذه القطع الأثرية شاملة ما عليها من آيات قرآنية أو أحاديث شريفة ، أو عبارات دعائية وتلا ذلك أسماء وألقاب ووظائف أصحابها ، وبعد ذلك التأريخ لهذه الكتابات بالحروف أو بالأرقام أو بحساب الجمل والأخيرة يلزمها وجود محور من الشعر الذي سطرت بها بعض هذه الكتابات .

**والبحث الثالث** بالكتابات يدور حول دراسة متخصصة لمجموعة من شواهد القبور العثمانية منقوشة باللغة التركية من جبانة رشيد في القرنين ١٢-١٣ هـ / ١٨-١٩ م [ ١٧ شاهداً ] نشرت بمجلة الدراسات الشرقية عدد ٢٦ يناير لسنة ٢٠٠١ م، ويتناول في دراسته الوصفية لهذا العدد من الشواهد عرضاً لمادتها وتاريخها ومقاساتها واللغة التي كتبت بها النصوص مصحوبة بترجمة إلى اللغة العربية .

كما يتناول في الدراسة التحليلية أشكال الشواهد وأجزائها شاملة الرأس والعنق والجسد والقائم ، وصلة ذلك بالشخص صاحب الشاهد كما يذكر بالتحليل لغة الشواهد والتداخل الحضارى بين التركية والعربية فيها ، ويعرج البحث على مادة الشواهد الرخامية ومميزات النقش عليها دون غيرها وطريقة الكتابة بالأسطر الأفقية البارزة مع مقارنتها بمثيلاتها القاهرية من نفس الفترة ، هذا إلى دراسة زخارفها المتنوعة من هندسية ونباتية وأهمية الأخيرة على كتابات الشواهد العثمانية ، وبالإضافة لنوع الخط الذى كتبت به الشواهد وتطوره فى هذا العصر " خط الثلث " وما تلاه من عهد محمد على باشا ومحاولة لايجاد دلالات لبعض الرموز التى تلاحظ على الشواهد .

وتتناول الدراسة التحليلية لمضمون النصوص على الشواهد العبارات الإفتتاحية لها والأسماء التركية والعربية ونسيتها إلى أماكنها والألقاب التى ذكرت مصاحبة لهذه الأسماء وتأصيل وجود كل منها على شواهد القبور ، وكذلك العبارات الدعائية والحكم الدينية التى فضلها الأتراك والمأخوذ أكثرها من عبارات الرثاء والدعاء عند العرب ، وختاماً تحليل لوسائل التأريخ على هذا الشواهد بدقة تذكر اليوم والشهر والعام لأصحابها ومن ثم العرض للطرق المختلفة لإختصارات أسماء الشهور العربية على كتابات الشواهد .

والبحث (الرابع) ، يدرس بالوصف والتحليل لشاهدى قبرين من دهلك " بإريتريا حالياً " محفوظين بالمتحف البريطانى فى لندن معاصرين للفترة الأيوبية فى مصر والشام أولهما مؤرخ ٢٩ صفر ( ٥٨٤ هـ / ٢٩ ابريل ١١٨٨ هـ ، والثانى مؤرخ

غرة رجب سنة ٦٠٧ هـ ( ١٩ ديسمبر سنة ١٢١٠ م ) وتم دراسة الكتابات المنقوشة على الشاهدين من حيث أسلوب تنفيذها " بارز على أرضية غائرة " ، ومن حيث نوع الخط المستخدم في نقشها وهو خط الثلث الذي شاع استخدامه في شرق العالم الإسلامي في تلك الفترة ، كما درست الزخارف وأنواعها الهندسية والنباتية علي الشاهدين ، وتعرض البحث لما اتفق عليه من مضمون كتابات الشاهدين وما اختلف منها ، فمن المتفق عليه البسملة والصلاة علي النبي (ﷺ) ومكان الصناعة واسم الصانع ، والدعاء لصاحب الشاهد .

أما المختلف بينهما فيه ، فهو أرقام الآيات القرآنية ، والأسماء والألقاب والوظائف في كل منها ، ووسيلة تحديد التاريخ وانفراد أحدهما بأيات من الشعر تؤكد الربط بين الأرقام ووظائف صاحبه ومنها الأديب الفاضل وبين الذي يهدف اليه الكاتب من وراء كتابة هذه الأبيات الشعرية .

**أما البحث الخامس** فهو يتعرض بالدراسة والبحث للنقوش الكتابية علي شواهد القبور التركية العثمانية من خلال مثالين بارزين محفوظين بالمتحف البريطاني في لندن ، أحدهما لرجل وهو مؤرخ ذو الحجة ١٢٣٨ هـ ( اغسطس سبتمبر ١٨٢٣ م ) ، والآخر لسيدة وهو مؤرخ ١١٩٩ هـ ( ١٧٨٥ م ) – تيين بالدراسة أن الشاهد الأول كتب باللغة التركية ويحروف عربية نقشت بخط الثلث البارز علي الرخام ، والثاني كتب باللغة العربية وبنفس الخط علي قطعة رخامية كذلك متفقين في مادة الصناعة التي فضلها الأتراك العثمانيون في شواهد قبورهم وظهر الإختلاف في شكل رأس شاهد الرجل ( عمامة ) عن السيدة ( قلنسوة ) كذا من حيث جسد الشاهد

مستطيل مسلوب من أسفل قليلا ، وأيضا القائم السميكة المكعب ، وتعرض البحث للزخارف علي الشاهدين وذلك من حيث الزخارف النباتية التي جاءت في المرتبة الأولى من الأهمية في كتابات شواهد القبور عامة والعثمانية خاصة ، كما درس بالبحث تحليل لحروف الخط الثلث التي نقشت به الكتابات علي الشاهدين والذي يظهر من خلالها التداخل والتركيب بين الحروف والكلمات وتحقق مميزات ونسب خط الثلث فيها ( تحريف قطة قلمه ، والترويس ، والتقوير وتفرغ بعض الحروف ) ، كما درس أسلوب تنفيذ النقش الكتابي البارز علي الشاهدين في أسطر أفقية ومدى تأثيرها وتأثرها بمثلتها في القاهرة من الفترة المعاصرة لها .

ومن حيث المضمون تم تحليل المضمون في الكتابات علي الشاهدين التي قسمت بالبحث إلي عبارات افتتاحية واسم ولقب ووظيفة صاحب الشاهد وطلب قراءة الفاتحة له والتأريخ لوفاته .

ولا شك أن دراسة أكثر من ثمانية وستين قطعة أثرية من شواهد القبور وفي هذا الكتاب تتنوع في أشكالها والمواد التي كتبت عليها وفي أشكال الخطوط التي كتبت بها ووسيلة نقشها وكذلك زخارفها هذا بالاضافة لما كانت تنطوي عليه مضامين نقوشها الكتابية من أهمية ملحوظة تحمل لنا تحديد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والعبارات الدعائية وأسماء أصحابها وألقابهم ووظائفهم وأوصافهم وكذلك التاريخ لوفاتهم وطلب الدعاء لهم ، هذا فضلا عن ذكر صناعاتها أحيانا ومكان صناعتها مما كان له الأثر الكبير في بيان أهميتها ودورها في مجال النقوش الكتابية الإسلامية.